

سوسيولوجيا الإعلام البديل *Sociology of Alternative Media*

د. مسعود رزيق

جامعة العربي التبسي (الجزائر)، messaoud.rezig@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2021 / 12 / 31

تاريخ القبول: 2021 / 11 / 23

تاريخ الاستلام: 2021 / 10 / 31

ملخص:

إن التغير الجذري في مجال وسائل الإعلام والاتصال السائدة في العصر الحديث وفي مقدمتها الأنترنت وثورة المعلومات، أفرز عن ظهور ما يسمى بالإعلام البديل أو الإعلام الموازي مما دفع بعلماء السوسيولوجيا إلى الاهتمام بهذه الظاهرة الاجتماعية كحقل يثير الكثير من التساؤلات، فقاموا بتجديد وإثراء التحليل الاجتماعي للتفاعلات بين الأفراد وطرق التواصل بينهم في هذه البيئة الجديدة. وفي هذا السياق، تسعى هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على الأطر السوسيو- ثقافية والمقاربات النظرية لظاهرة الإعلام البديل للوقوف على حقيقة هذا النمط الإعلامي الجديد في الوسط الاجتماعي، حيث كشفت النتائج المتوصل إليها، أنه يلعب دورا كبيرا في عملية الوعي الاجتماعي، كما يعكس الفقر المعرفي بالمجتمعات العربية وسوء إدراك الحرية والديمقراطية وغموض في فهم لمدرجات التقنية. الكلمات المفتاحية: الاستمولوجيا، الإعلام البديل، التفاعل الاجتماعي، السوسيولوجيا.

Abstract:

The radical change in the field of media and communication prevailing in the modern era, especially the Internet and the information revolution It resulted in the emergence of the so-called alternative media or parallel media which prompted sociologists to pay attention to this social phenomenon as a field that raises many questions, so they renewed and enriched the social analysis of interactions between individuals and ways of communicating between them in this new environment.

In this context, this research paper seeks to shed light on socio-cultural frameworks and theoretical approaches to the phenomenon of alternative media in order to find out the truth of this new media style in the social environment, as the results revealed that it plays a major role in the process of social awareness, and also reflects poverty. Knowledge of Arab societies, misperception of freedom and democracy, and ambiguity in understanding technology perceptions.

Keywords: Sociology, Alternative Media, Social Interaction, Epistémology.

١. مقدمة

لقد بُنيت الإسهامات الأولى لنشأة علوم الإعلام والاتصال في صرح العلوم الاجتماعية حيث تعددت استخدامات الأطر المعرفية والمنهجية لعلم الاجتماع في دراسة مختلف الظواهر الاتصالية والإعلامية التي هي بالأساس ظواهر اجتماعية مرتبطة بالفرد والجماعة داخل المجتمعات، كون علم الاجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية التي تؤثر في وسائل الاتصال داخل البنى الاجتماعية، مما يوضح أهمية السوسيولوجيا في الدراسات الاتصالية والإعلامية كعلم الاجتماع الإعلامي وعلم الاجتماع للاتصال لتحديد مختلف الخصائص السوسيو-ثقافية لوسائل الاتصال والإعلام كنسق اجتماعي.

كما ادي ظهور الانترنت الى احداث تغيرات كبيرة علي المكونات الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والسياسية للمجتمعات من خلال ما تقدمه من خدمات متعددة، غيرت من سبل المعرفة والتواصل والتفاعل، كما سمحت بتحرير الوسائل الإعلامية والاتصالية التقليدية من ثبات محتوياتها واحادية اتجاهاتها وجمود علاقاتها بالمتلقي، حيث كان لها الفضل في ظهور ما يعرف بـ "الإعلام البديل" أو "الإعلام الموازي" الذي يعتبر قفزة نوعية وأقفا غير مسبوق في عالم التواصل الاجتماعي، بحكم تمتعه بمجال تفاعلي شمولي وقدرة تأثيره لم تشهدها منجزات عالم الاتصال لها مثيلا في الشمولية والتأثير من قبل.

ففي ضوء هذا المشهد الإعلامي الجديد، أصبحت محاولات فهم آليات وخصائص وأدوار الإعلام البديل، ضرورة علمية ملحة، لتحليل هذه الظاهرة الإعلامية في الوسط الاجتماعي، فالإشكالية البحثية هنا تتجلى في محاولة البحث في طبيعة الخصائص السوسيو-ثقافية التي تميزه عن الإعلام التقليدي، ومدى قوة تأثيره في الآونة الأخيرة على الواقع الاجتماعي والسياسي والأمني والثقافي، وذلك بانهاج المنهج الوصفي ذا المنحى الكشفي التحليلي لتفسير مخرجات البيئية المجتمعية كنتيجة حتمية فرضتها طبيعة التفاعلات والضغط السياسي والاجتماعية والابتكارات التكنولوجية.

أولاً: مدخل إلى أبستمولوجيا الإعلام والاتصال

إن التحديد المفاهيمي لأبستمولوجيا الإعلام والاتصال يفرض علينا الوقوف على كل متغير من متغيرات الدراسة بالتعريف والتوضيح للمصطلحات التالية:

1. الابستمولوجيا (Epistemology)

من الناحية اللغوية كلمة "إبستمولوجيا" متكونة من كلمتين يونانيتين "ابستي" ومعناها علم، والثانية "لوغوس" وهي بمعنى علم أيضا (النذير، 2017، ص.12)، فهي إذن معناها اللغوي "علم العلوم" أو "الدراسة النقدية للعلوم" فهي تتخذ من المعرفة العلمية موضوعا لها، بهدف الكشف عن مبادئها، ونشأتها ومقارباتها وتفسيراتها للواقع، بالخوض في تاريخها ومراحل تطورها مع الكشف عن فترات تقهرها بهدف الفحص الثاقب لتشكيل مفاهيم العلم وتطور دلالتها ضمن مقاربة نقدية.

كما تعتبر من أهم النظريات العلمية لاستقصاء المعارف (يفوت، 2008، ص.8)، فهي تاريخ حياة العلوم ونشأة التصورات العلمية وتحولها واستمرارها أو اندثارها مع الشروط المرتبطة بها. ووفقا للعديد من المفاهيم التي قدمت للمصطلح والتي تدل على أنها دراسة الأسس والمسلمات التي توجه الخطوات الهادفة الى فهم الواقع (سعد، 2017، ص.14).

إن علوم الإعلام والاتصال استمدت في نشأتها الابستمولوجية من علوم أخرى سبقتها أفادتها واستفادت منها في تأسيسها النظري والمنهجي نظرا لتأسيس الحديث لعلوم الإعلام والاتصال، مما جعلها تتداخل مع جل العلوم الإنسانية والاجتماعية التي يتم فيها دراسة ظواهر الاتصال المرتبطة بالفرد والمجتمع.

فقد ساهمت العديد من التخصصات العلمية في حقل العلوم الاجتماعية في تكوين المجال المعرفي والمنهجي لعلوم الإعلام والاتصال نذكر أهمها علم الاجتماع الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بها، إذ أن أبحاث ودراسات الاتصال والإعلام تتداخل بعلم الاجتماع كون الترابط الاجتماعي الاتصالي يرجع أساساً كون ظاهرة الاتصال هي نشاط إنساني وجزء لا يتجزأ من المجتمع، فالاتصال هو التجسيد الحي للتفاعل بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، فهو الوسائل كما يقول " ولبور شرام" (شرام، 1973، ص.3): Whenwe study communication, There fore we study people.

إلا أن التداخل المعرفي والمنهجي يعد نقطة مميزة في الأبحاث الإعلامية والاتصالية نظراً لمكانة وسائل الإعلام والاتصال في المجتمعات وما تؤديه من عمليات اجتماعية داخل المجتمع ومن كونها وسائل اتصالية متعددة ومتطورة ترتبط بظروف المجتمع الذي تعمل فيه، فهي تتأثر وتتأثر في النظم والظواهر الاجتماعية ولا تعمل منفردة بل ترتبط بالمجتمع وتطوراتها.

2. السوسيولوجيا (Sociology)

مصطلح مركب من اللغة اللاتينية اليونانية، فكلمة "Socio" مشتقة من "Socus" بمعنى رابطة بشرية في المجتمع. أما الثانية اللوجي "logy" فهي مشتقة من "Logos" اليونانية وتعني المنطق. (أبو الحسن، 2006، ص.18)، على اعتبار أن علم الاجتماع يعني بدراسة المجتمع الإنساني أو التفاعلات والسلوكيات الاجتماعية، كما يبحث في علاقة الأفراد ببعضهم وما ينتج من هذه العلاقات من ظواهر اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات الإنسانية من حيث السلوكيات، التعابير، الأفكار، العادات والتقاليد وحتى الأعراف المتبعة التي تضمن لكل مجتمع ثقافة معينة وهوية محددة واضحة المعالم من حيث الطبيعة والمقومات.

فلقد عرف العالم الانجليزي "أنتوني غيدنز" مفهوم السوسيولوجيا بأنها "المدرسة العلمية للمجتمع"، حيث أنها تهتم بدراسة الحياة الاجتماعية ككل والنسق المركب من النظم الاجتماعية والحاجات الاجتماعية في المجتمع، وكذا البناء الاجتماعي الذي يهتم بدراسة الأسرة والدين والأخلاق والتدرج الاجتماعي والحياة العصرية، كما ينظر للبناء الاجتماعي بوصفه كل العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأشخاص بوصفها جزء من البناء الاجتماعي (الزيود، 2010، ص.17).

فالمعروف أن مجالات البحث في العلوم الاجتماعية تأخذ بنظام المعرفة والعلاقات المتبادلة بين العلوم، وهذا ما يتضح في علم الاجتماع الذي يأخذ مكانة مهمة في العلوم الإنسانية، فعلم الاجتماع بمثابة المدخل المنهجي الذي لا تستقيم عليه أي عملية إعلامية اتصالية دقيقة بدونها فيعد مطلباً حتمياً (النكلاوي، 2001، ص.9)، مما يتضح أن هناك العديد من نقاط المحورية المشتركة والمتداخلة للحقول المعرفية بين علوم الإعلام والاتصال وعلم الاجتماع.

3. سوسيولوجيا الإعلام والاتصال (Sociologie of media and communication)

أن مجالات سوسيولوجيا الإعلام والاتصال هي التي تعكس بعض التفاصيل النظرية والتطبيقية المتعلقة بوسائل الإعلام والاتصال كظواهر اجتماعية في النظام الاجتماعي، لذلك تتشكل وسائل الإعلام والاتصال كنظام ونسق اجتماعي يؤدي دوره ويحقق وظائفه في المجتمع، كما لديه القدرة على التأثير والتأثر بباقي النظم الاجتماعية المحيطة بالفرد ويعطي تصوراً واضحاً لعناصر النظام الإعلامي.

غير أن مفهوم الاتصال ليس حديث النشأة في العلوم الاجتماعية، فقد استخدمه علماء الاجتماع الأوائل وخاصة كولبي "COLY" وجون ديوي "DOWEY"، حيث كانوا يركزون على اعتباره عملية اجتماعية تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس، واعتبار عملية الاتصال تقوم على المشاركة والتفاعل في الأحداث المحيطة

بالإنسان (العبد الله، 2006، ص.24)، فالاتصال هو نشاط اجتماعي يتم في المجتمع، يسعى الي تحقيق مجموع من الاهداف لا يمكن تحقيقها بالطرق العشوائية.

كما ادي تطور وسائل الإعلام والاتصال الحديثة الي احداث تغيرات في النسق الاجتماعي لهذه الوسائل، حيث تغيرت طريقة إرسال واستقبال الرسالة الإعلامية لاسيما طرق التأثير على الجمهور (بلخيرى، 2014، ص.101)، مما افرز علي تطور النظريات الإعلامية الاتصالية المفسرة لها، حيث ظهرت مداخل نظرية جديدة ومتعددة تفسر العلاقة بين عناصر الاتصال ودرجة تأثيرها، وتوضح أيضا الطريقة التي تعمل بها داخل الإطار الاجتماعي ومدى قدرة التقنيات الحديثة في الإعلام والاتصال على الاقتراب من خصائص الاتصال الشخصي باعتبار الجماعة هي الوحدة التي يتشكل منها المجتمع، علي اعتبار ان العمل الاتصالي الإعلامي ينشغل باتجاهات الفرد وآرائه التي تشكلها الجماعة أو جهات مختلفة التي يتلقى منها قيمه ويحافظ على تراثها ويتفاعل مع آرائها.

وفي هذا السياق فقد أصبح من الضروري اليوم، أن الدراسات الاتصالية والإعلامية تبحث عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية المؤلفة للجماعة، على أساس ان قدرة وأهمية وسائل الاتصال والإعلام تكمن في إحداث التغيير في المجتمع، حيث يتحقق لها ذلك ببث أفكار حديثة تمكنها في التأثير في العلاقات الاجتماعية، خاصة بتفعيل دور قادة الرأي العام والفاعلين الاجتماعيين في المجتمع المدني، فهي تقوم بدور الوسيط بين الرسالة الإعلامية والجمهور حيث تتم خطوات الدراسة الاجتماعية لوسائل الإعلام في خطوتين أساسيتين: أولها الدراسة المورفولوجية، أي دراسة بنية كل وسيلة من حيث النشأة والتطور والانتشار، وثانيا الدراسة الفسيولوجية التي تبحث في الدور الوظيفي الذي يمكن أن تؤديه كل من هذه الوسائل داخل المجتمع بغية الوصول إلى القوانين التي تحكمه (الشال، 1985، ص.24).

من خلال ما سبق نستنتج أن علوم الإعلام والاتصال بحاجة ماسة لعلم الاجتماع الاتصال لفهم وتفسير مختلف الظواهر في الدراسات الاتصالية الإعلامية، باعتبار الاتصال ظاهرة اجتماعية تحدث داخل المجتمع، مما يدفعنا للقول ان الدراسة العلمية للمجتمع هي التي تفسر وتدرس الفعل الاتصالي في الوسط الاجتماعي بين الافراد، سواء المتلقين أو المستخدمين لتقنيات الاتصال، كما تبرز أهمية ومكانة المجتمع في وسائل الإعلام والاتصال من خلال الموقع الاستراتيجي لوسائل الاتصال في المجتمع.

إن العمل الاتصالي السوسولوجي ليس هدفه مجرد الوصف والتسجيل للأحداث والوقائع، بل يتخطى حدود الوصف شأنه في ذلك شأن سائر الأبحاث العلمية الأخرى فيجب ان يركز على التحليل والملاحظة العلمية للمجتمع وظواهره المختلفة، على أساس ان عملية الاتصال تمثل صيغة رئيسية من صيغ التفاعل الاجتماعي، كما ان منهجية السوسولوجيا الجديدة لوسائل الإعلام تركز على التداعيات المنهجية التي تثيرها العودة الي السوسولوجيا التي تراجع الاثار الخاصة بمأسستها، العديدة والجذرية (ميغري، 2018، ص.497).

4. الأنترنت (INTERNET)

الإنترنت هو عبارة علي نظام اتصال عالي لنقل البيانات (DATA) عبر عدة انواع من الوسائط المختلفة، كما يمكن وصفه بأنه شبكة عالمية مركزية مرتبطة بعدة شبكات مختلفة (Réseaux) سواء كانت شبكات خاصة، أو عامة، كالشبكات التجارية، الشبكات الأكاديمية، أو الشبكات الحكومية، موظفة في ذلك تكنولوجيا التقنيات اللاسلكية أو الألياف الضوئية، كما يستخدم الكمبيوتر بروتوكول التحكم في الإرسال (TCP/IP) عبر تزويده بمضيفات (SERVEURS) تمكنه من الوصول إلى الإنترنت، وبهذه الطريقة رفعت شبكة الإنترنت معايير الشبكات العادية إلى المعايير العالمية.

لقد ظهرت شبكة الإنترنت عام 1969 حيث تمثلت أساسا في شكل شبكة وكالة مشاريع الأبحاث المتطورة التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية، ثم تطوّرت الإنترنت بشكل كبير منذ تلك الفترة إلى الوقت الحاضر،

حيث حدثت زيادة طردية في حجم الشبكات وتنوع الخدمات التي تقدمها، مما أجبر المبرمجين على معالجة مشاكل عدم التوافق بين أنظمة الكمبيوتر ومكوناتها وإدارة حركة البيانات وعولمة المعايير التقنية (الصادق، 2008، ص.23)، مما أدى إلى تطوير أنظمة التشغيل والتوسع في مجال الأبحاث المتعلقة بنظرية "الطابور" () queuing theory و تقسيم وظائف الشبكة إلى طبقات متتالية يحكمها بروتوكول قياسي ومجموعة من القواعد التي يتم تنفيذها في البرامج أو الأجهزة، إضافة إلى التطور التقني لتصميم الانترنت بشكل لا مركزي ومشترك.

ثانيا: النشأة وإشكالية المصطلح (الإعلام البديل)

من خلال الشبكة المعلوماتية (الانترنت) ولد الإعلام البديل بثلاث منصات، وهي تويتر وفيسبوك ويوتيوب، وكل واحدة بخاصية وميزة ونقاط قوة تفتقدها الأخريات، وجميعها تكمل بعضها بعضا بشكل لم يحدث عبر تاريخ وسائل الإعلام التقليدية، وبمولد الإعلام البديل انكسر احتكار الإعلام، فأصبح لحد بعيد في يد مستخدمي الانترنت، وجعل كل مستخدم ينشأ مشروع مؤسسة إعلامية مستقلة ينمى حسب قدراته. ولم يكن للإعلام التقليدي من خيار سوى اللحاق بركب الإعلام البديل واستيعابه أو مواجهة الإفلاس، فانهارت عروش إعلامية بعواصم العالم الغربية كما لم يخطر على بال أحد.

كما يري البعض ان ظهور الإعلام البديل يعتبر حتمية تاريخية (عبد الحميد، 2009، ص.7)، على اعتبار ان هذا الانعتاق فرح به كل حالم بالكتابة والتصوير الفوتوغرافي ومصورى الأفلام، فكانوا أول المندفعين لاستخدام الإعلام البديل لاستعراض مواهبهم المتباينة بين المتعة الكسحة والمتوسطة والممتازة، وكما كان مفرحا أن نرى كتابا ومصورين جددا لم نسمع بهم سابقا، يحملون الوعد بنضوج في قابل الأيام إن واصلوا مسيرتهم الإعلامية وطوروا مواهبهم.

كما يجب الإشارة ان المشاركة الحقيقية والفعالة في بناء الإعلام البديل تجسدت أكثر وضوحا في ظهور المدونات وانتشارها التي تماثل الوسائل التقليدية، لكن في إطار تقديم خدمة لجمهورها وتلبية حاجاتهم الإعلامية دون انحياز الى قوي اخرى في المجتمع واغفال الجمهور صاحب المصلحة الرئيسية في وجود وانتشار وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، وتتساءل "ليا ليفرو" في كتابها "وسائل الإعلام الجديدة النشطة والبديلة" عن مفهوم وسائل الإعلام الجديدة، بعد أن أصبح يستخدم بشكل واسع، دون تحديد مفهوم واضح لهذا المصطلح. هل نعني بوسائل الإعلام الجديدة أحدث الأدوات التكنولوجية؟ أو أشكال جديدة من الترفيه؟ أو طرقا معقدة للبحث عن المعلومات؟ وهو الاستخدام الأكثر شيوعا، أو هو أي شيء له علاقة بالانترنت (ليفرو، 2016، ص. 12).

1. معوقات بدايات الإعلام البديل

لقد تميز الإعلام البديل في بدايته بالعشوائية وغياب المهنية لأغلب مستخدميها، حيث ولد من رحم تقنية الديجيتال المتطورة الباهرة، فقد نشأ في بيئة خارج مشارف سلطة قانون الدول وسيادتها مما دفع أغلب دول العالم بتكييف قوانينها وتشريعاتها سعيا منها لتنظيم واحتواء هذا الإعلام الجديد لاسيما فيما يخص الشق الجزائي منه الذي يمس بمصالح الأفراد أو المجتمعات (حدادي، 2017، ص.77)، فرغم ان الإعلام البديل قد ساير تقنيات (الويب. 2) الجديدة التي توفر له في الحقيقة جملة من الإيجابيات أثناء التغطية الإعلامية لمختلف الأحداث كالسرعة والتفاعلية، الشيء الذي يعكس تعدد وتنوع مصادره الإلكترونية حول الحادثة نفسها لكنه قد واجه جملة من التحديات والمعوقات في بدايته عبر وسائطه الإعلامية، لعل أهمها:

1. عدم شفافية مضمون المادة الإعلامية في كثير من الأحيان، وهي إشكالية تطرح في ظل الإعلام الجديد، نظرا لتعدد مصادره الإعلامية التي تغيب عنها المصداقية في كثير من الاحيان، حيث أصبح بإمكان أي شخص أن

يصبح مرسلا وصحفيا، ينشر الأحداث والأخبار بطريقة غير مهنية وغير احترافية، ويبثها عبر المنصات الإعلامية المختلفة.

2. صعوبات التأقلم والتعامل مع تقنيات الخدماتية للأنترنت بالنسبة للإعلاميين التقليديين حيث واجهوا عدة صعوبة أثناء محاولة اندماجهم مع هذه المصادر، مقارنة بالإعلاميين الجدد أو الجيل الحالي من الإعلاميين، الذين يفضلون استخدام هذه التقنيات الجديدة في المؤسسات الإعلامية المختلفة.

3. غياب التحقيق الميداني والواقعي من مصدر المعلومة نظرا للتباعد المكاني، فالتقنية جمدت الحدث بنمط معين حيث أصبحت التغطيات تعتمد فقط على المصادر المتاحة عبر شبكة الانترنت، حيث ان هذه التغطية السطحية للأحداث غابت التغطية الشخصية، الشيء الذي انعكس سلبا على مصداقية المواقع الاجتماعية، ومصداقية المعلومات التي تنشر من قبل صحافة المواطن.

2. إشكالية مفهوم الإعلام البديل (Alternative Media)

يحظى مفهوم الإعلام البديل بالقسط الأوفر من الدراسات الإعلامية الأكاديمية الحديثة، ويأتي هذا الاهتمام العلمي الواسع بالإعلام البديل، نتيجة لتداخل وترابط التقنيات التكنولوجية الرقمية في مختلف وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بالشبكة العنكبوتية من جهة، وباعتبار هذه الدراسات محاولة لمواكبة التطور التكنولوجي الرقمي السريع في تاريخ وسائل الإعلام والاتصال من جهة أخرى، باعتبار الإعلام الرقمي الجديد نتيجة من نتائج متغيرات الواقع المعاصر. فهو يمثل هنا سببا ونتيجة في الوقت نفسه، وهنا تكمن مثاليته الذكية. ليتحول المتلقي لمضامين وسائل والإعلام والاتصال من مستقبل في اتجاه واحد، إلى مستقبل ومرسل نشط ومتفاعل في مختلف الاتجاهات في ظل مجموعة من المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تحكم تطور وسائل الاتصال والإعلام المعاصرة.

فهو مصطلح يشير إلى شكل من أشكال وسائط الإعلام العامة (Mass Media) التي نشأت كمنافس لوسائل الإعلام الرئيسية (Mainstream Media)، حيث تنشر وسائل الإعلام الرئيسية مثل الصحف والراديو والتلفاز والمجلات والأفلام والإنترنت وغيرها، فجميع المعلومات التي تتماشى مع رغبة المجتمع وآرائه وأفكاره ومعتقداته، بينما تنشر وسائط الإعلام البديلة جميع المعلومات التي تتناقض مع آراء المجتمع ورغباته وأفكاره، فعلى سبيل المثال، قد تبث قنوات التلفاز الإخبارية جميع الأمور المتعلقة بأخبار المشاهير استجابة لطلبات الجمهور، أما بالنسبة لوسائط الإعلام البديلة، فإنها تنشر القضايا التي تتجاهلها وسائل الإعلام الرئيسية .

أن الإعلام البديل أو الإعلام الجديد أو صحافة المواطن أو اعلام النحن " WE MEDIA " قد تعددت تصنيفاته بين صحافة المدونات ومواقع الشبكات الاجتماعية " Social Network Sites " والمننديات الإلكترونية، والمجموعات البريدية، أو المواقع الالكترونية، وغيرها (عويس، 2012، ص.54)، حيث يعد شكلا جديدا من الإعلام الذي ينافس الإعلام التقليدي من حيث الآنية والفورية، وأهم ما ميزه ظهور الإنترنت، وقد برزت معالمه مع بروز وتطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال التي عرفها العالم، حيث يحظى الإعلام البديل اليوم باهتمام الباحثين في مجال الإعلام والاتصال اعتقادا بأهمية وضرورة معرفة التجليات والتغيرات التي طرأت على الإعلام التقليدي وساهمت في تغيير وتكريس بعض المفاهيم كمفهوم الديمقراطية الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الفضاء العمومي. ويعرف هذا الأخير بأنه المكان أو المجال الذي يجري فيه الحوار والنقاش العام القائم على مبدأ التحاور والالتزام بأداب المناقشة والمناظرة واحترام الأفكار وقبول الرأي الآخر. ويقوم هذا الفضاء على المبدأ المذكور آنفا "الديمقراطية"، حيث تمثل وسائل الإعلام جزءا من هذا الفضاء لا غنى عنه ومنبرا للتواصل ونقل الأفكار والمعلومات بين السلطة والشعب، وبين الأفراد في حد ذاتهم. ويعتبر هذا المفهوم من المفاهيم التي تتميز بأهمية نظرية كبيرة في دراسة الظاهرة الاتصالية والإعلامية بمراعاة الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع.

ان الإعلام الجديد، الإعلام الإلكتروني، الإعلام البديل... كلها مترادفات لمعنى واحد، ويقصد به "الإعلام الذي يعتمد على التقنيات الجديدة التي بدأت بعد ظهور الإنترنت، مثل المنتديات والمدونات وبرامج التواصل الاجتماعي، كما يمتاز بكونه إعلاما غير وسيط حيث الكل فيه مستقبل ومرسل بعكس الإعلام التقليدي.

ثالثا: المداخل النظرية للإعلام البديل

لقد شهدت النظرية الاجتماعية في مجال الإعلام والاتصال يسجل نفسه في اطار اللوحة الأكثر أهمية للتطور الاجتماعي والتكنولوجي في الربع الأخير من القرن العشرين (لازار، 1994، ص. 11) لكن لا تكاد توجد نظرية اجتماعية إعلامية واحدة متفق على كيفية عملها، أو تأثيرها في الجمهور بين الباحثين، وإنما يوجد عدد من النظريات التي تقدم تصورات عن كيفية عمل الإعلام وتأثيره اذ يري «جورج جيرينر» ان وسائل الإعلام تنقل للجمهور رسائل عديدة تؤثر في رؤيتهم وفهمهم للأحداث والقضايا والأشخاص في العالم من حولهم (البشر، 2014، ص. 119)، وفي الوقت ذاته تساعد هذه النظريات على توجيه البحث العلمي في مجال الإعلام إلى مسارات مناسبة، ذلك أن النظرية تجسد بشكل فاعل تطبيقات وسائل الإعلام في المجتمع، كما تشرح النظرية ما تحدثه من تأثير في الجمهور، أو من الجمهور نفسه تجاه الوسائل، أو الرسائل الإعلامية. بل تتجاوز ذلك أحيانا إلى تقديم تصور عما يمكن أن يحدث مستقبلا. كما تقدم النظرية تصورا عن التغيرات الاجتماعية المحتملة وتأثيرات وسائل الإعلام فيها.

كما تناولت العديد من النماذج الاتصالية مختلف احتياجات الجمهور من عدة جوانب سواء النفسية او الاجتماعية وحتى رغباته الإعلامية والاتصالية، وهذا ابتداء من نموذج الاستخدامات والتأثيرات الذي قدمه "ويندول" سنة 1979، حيث أكد فيه خصائص نموذج "كلابر" المعروض سنة 1969، وبعد ذلك قدم "كاتز" نموذجه المتمثل في الاستخدامات والاشباع الذي ركز فيه على وعي الجمهور، ومدى قدرته على تحديد أولا احتياجاته وثانيا على اختيار الوسيلة المناسبة لتحقيق هذه الاحتياجات.

وبعد ذلك قدم " دينيس ما كويل " (D. Macquial) نموذجه الذي اعتمد فيه على قدرة الجمهور ليس فقط على تحديد الاحتياجات واختيار الوسائل بل على دوره المتمثل في ابتكار وتصحيح الوسائل التي تلي احتياجاته ورغباته خاصة في ضوء القيود المفروضة على الوسائل التقليدية او السائدة من جانب اخر (الجبوري، 2012، ص. 64). ويؤكد " ما كويل " على ان هذا النوع من وسائل الإعلام الجديد يتميز بتشجيع المشاركة النشطة من جانب افراد المجتمع وفشل الإعلام الجماهيري في تلبية احتياجات الجماهير وفشله في منح فرصة للتعبير للأفراد او الأقليات هي النقطة التي يبدأ فيها هذا الإعلام البديل الذي يعد اعلاما ديمقراطيا مشاركا وتمتد هذه المواصفات علي كافة اشكال الإعلام ووسائله فلا يقتصر الإعلام البديل علي وسيلة بعينها وإنما يمكن ان يتواجد في الوسائل المطبوعة (صحف، مجلات) والمسموعة المرئية مثل (الراديو، التلفزيون، الانترنت) فيتركز هذا النموذج علي صفتان هما المشاركة، وإتاحة الفرصة لحرية التعبير والراي وهما أساس الإعلام البديل.

وعلي الرغم ان اغلب الدراسات الأجنبية والعربية قد حصرت وسائل الإعلام البديل في وسيلة الأنترنت وما تقدمه من مواقع ومدونات تتيح التفاعلية والمشاركة وديمقراطية الراي في التعبير، لكنها ركزت في خواص معينة وتجاهلت خواص اخري تتعلق بهوية الإعلام البديل، فعملية حصر الإعلام البديل فيما يربث على الأنترنت لا يقتضي في جوانبه خدمة المجتمع المدني الذي أبرز أسلحته الديمقراطية، فقد حدد مجموعة من المؤلفين (أولجا جوديس بيلي، بارت كاميرتس، نيكو كارينتير) في كتاب "فهم الإعلام البديل " أربعة مداخل للإعلام البديل تمكنا من تحديد هويته:

1. المدخل الأول: الإطار العلائقي

يعتمد هذا المذهب على العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع، فهدف الإعلام البديل هنا هو خدمة المجتمع فيتم إعطاء الأشخاص العاديين فرصة سماع أصواتهم وتحمل مسؤولية توزيع ايدولوجياتهم وتمثيلاتهم ويمكن مناقشة الموضوعات التي تعتبر مناسبة للمجتمع بواسطة افراد المجتمع وهذا يمكن الجماعات المجتمعية من جانب واحد او المحرومة او حتى المكبوتة بصفة خاصة من استخدام قنوات الاتصال المفتوحة بواسطة الإعلام البديل من اجل تقوية هويتها الداخلية الي العالم الخارجي (جوديس بيلي، 2009، ص.44).

2. المدخل الثاني: البديل

ركز هذا المدخل علي فكرة البديل، فهو يفرق بين الإعلام السائد (المهيمن) والإعلام البديل ويعتبر هذا الأخير كمكمل للأعلام السائد، فيمثل الإعلام البديل هنا رؤية بديلة للسياسات والاولويات والمنظورات المهيمنة كما تعبر عن ايدولوجيات اولئك الممثلين بدرجة غير كافية او مشوهة في قنوات الاتصال المهيمنة التي تعطي الأولوية لأفكار الأطراف الفاعلة الاجتماعية كالدولة ورجال السياسات والقطاع الخاص علي حساب وجهات نظر الأقليات المحرومة من الامتيازات في المجتمع المدني ، كما يعتبر هذا المدخل وسائل الإعلام بانها بدائل لوسائل الإعلام المسيطرة ومكملة لها علي مستوي التنظيم (المحتوي) اذ تكون هذه الوسائل ذات الهيكل الأكثر افقية واختلاف علي مستوي المحتوي.

3. المدخل الثالث: الاستقلالية

ان وضع وسائل الإعلام المجتمعية كمنظمات مستقلة عن الدولة والسوق يؤيد تصنيفها كجزء من المجتمع المدني فهنا تصبح وسائل الإعلام البديلة الصوت الثالث بين اعلام الدولة والإعلام التجاري الخاص فيعرف هذا المدخل وسائل الإعلام البديلة بانها جزء من المجتمع المدني وقطاع مجتمعي وجوده جوهري لقابلية حياة واستمرار الديمقراطية وباعتبار وسائل الإعلام البديلة كجزء من المجتمع المدني وواحدة من الأنواع الكثيرة للمنظمات العاملة في حقل المجتمع المدني وتسمح عملية إضافة الصبغة الديمقراطية علي الإعلام للمواطنين ان يكونوا فاعلين وناشطين في احد المجالات الجزئية الكثيرة وثيقة الصلة بالحياة اليومية.

4. المدخل الرابع: المدخل الجذموري

يعتبر هذا المدخل وسائل الإعلام البديلة كجذمور، ويركز هذا المدخل الجذموري علي ثلاث جوانب: دورها في المجتمع المدني، طبيعتها المراوغة المحيرة، وترابطها وصلتها بالسوق والدولة، ويبرز مجاز الجذمور أولا دور وسائل الإعلام البديلة باعتباره مفترق طرق يربط بين المنظمات والحركات بالمجتمع المدني، علي سبيل المثال تسمح الصلات والروابط الجذمورية بالتفكير في وجود هياكل تنظيمية يمكن لوسائل الإعلام البديلة ان تبقي فيها راسخة في المجتمعات المحلية وان تصبح في ذات الوقت أطرافا في شبكات تتخطي الحدود المحلية وتتم هذه الشبكات المتخطية للحدود المحلية بالتعبير المرن عن مجموعة متنوعة من منظمات الإعلام البديل ، وهكذا يصبح المدخل الجذموري عظيم الأهمية في تفادي تصوير وسائل الإعلام البديلة علي انها في علاقة مواجهة مع المحلي والعالمي وذلك من خلال طرح أساليب لتنظير الكيفية الا يتلامس بها المحلي والعالمي ويقوي كل منهما الاخر ضمن وسائل الإعلام البديلة.

ا. نتائج الدراسة

لقد افرزت هذه الدراسة على جملة من النتائج ندرجها على النحو التالي:

1. إن البحث في علوم الإعلام والاتصال يرجع إلى البحث في الواقع الاجتماعي، فالباحث الإعلامي العربي المتخصص يستند على علم الاجتماع نظرا لتشابك وتعقد الظواهر الإعلامية والاتصالية في عصر التكنولوجيا والمعلوماتية داخل المجتمعات.

2. لقد نجح الإعلام البديل في كسر هيمنة الدولة على الصحافة والإعلام، من خلال التشكيك في السرديات الحكومية حيال المشهد السياسي والاجتماعي، ونشر مقالات نقدية، وإطلاق نقاشات عامة حول أبرز القضايا التي تشهدها الدول.

3. دراسة ومعرفة الوقائع وخصائص البيئية المجتمعية والثقافية والفكرية والحضارية للمجتمعات العربية للفهم والتفسير العلمي الإعلامي الاتصالي في مراكز الأبحاث والدراسات لعلوم الإعلام والاتصال في الوطن العربي لتكون كأبحاث علمية ممنهجة ومصاغة توازي خصائص المجتمعات العربية.

4. ان افتقار وسائل «الإعلام البديل» للمصداقية ميزة وبارقة أمل لصالح وسائل الإعلام الرسمية التي تقاتل للبقاء، كالصحف الورقية والراديو والتلفزيون، بل إن الناس قد يبتعدوا عن "السوشيال ميديا" كمصادر للأخبار شيئاً فشيئاً لافتقادها المصداقية، وتكون هناك عودة للصحافة الورقية، وللإعلام التقليدي.

5. تمثل وسائل التواصل الاجتماعي خطراً مخيفاً، حيث يمكن استغلالها لتحقيق أغراض سياسية أو لتوجيه الرأي العام في اتجاه معين، ويمكن أن تستخدم للترويج لفكر معين أو إظهار شخصية عامة أو طمسها. والمشكلة الأساسية ليست في الجوانب الفنية لكتابة الخبر فحسب، بل في الوعي بالجوانب المهنية والأخلاقية التي يجب التزود بها عند استخدام تلك الوسائل في نقل الأخبار.

6. لم يرسخ الإعلام البديل حقيقة سطوة الدول المهيمنة على الصناعة الإعلامية والتكنولوجية عبر العالم بقدر ما كشف عن فقر معرفي بالمجتمعات العربية وسوء إدراك للحرية وغموض في فهم لمدرجات التقنية لاسيما أنها باتت مذهولة امام اكتشافات قد تكون سببا في عدم استقرار واقعها الأمني والاجتماعي.

III. خاتمة:

لقد أدى التطور العلمي الي بروز كم هائل من التخصصات المتداخلة فيما بينها تحديدا في المجالات المعرفية والمنهجية للعلوم الاجتماعية نتيجة تنامي الهيمنة التقنية في تحديد سياقاتها وهذا ما يميز الحقول المعرفية لعلوم الإعلام والاتصال ومدى ارتباطها وانفتاحها بالمجالات العلمية المتعددة، كذلك ظهور ما يعرف بالتخصصات البينية التي تجمع بين تخصصين معرفيين كان مستقلين عن بعضهما سابقا، كعلم الاجتماع الاتصال وعلم الاجتماع القانون وعلم اجتماع الإعلام، مما يرسخ أهمية السوسيولوجيا في دراسة هذه التخصصات التي تعتبر الكاشف الحقيقي لتطور هذه العلوم في البيئة الاجتماعية.

كما ان علوم الإعلام والاتصال تتداخل مع علم الاجتماع وبحاجة إلى إسهامات الباحث الاجتماعي في فهم وتفسير الظواهر الاتصالية والإعلامية خاصة في وقتنا الحاضر، في ظل عصر المعلوماتية وتعدد الظواهر المرتبطة بدراسات الجمهور ومدى تأثير الفرد المتلقي والمستخدم بمختلف التقنيات الاتصالية والإعلامية التي لا يمكن أن تنفك عن المجال الاجتماعي.

وفي ضوء هذه المعطيات يمكن القول ان الإعلام البديل ساهم الي حد كبير في انتشار الوعي والحرية في العالم وفعل عملية المشاركة وبناء الرأي العام، فهو يعبر عن تطور نوعي في الاتصال الإعلامي ليصل إلى المرحلة الراهنة حيث انتقلت أدوات الاتصال وتطبيقاته من المؤسسات إلى الجمهور، وأصبح بإمكان المواطن أن يمارس العمل الإعلامي عبر المنتديات ووسائل التواصل الاجتماعي.

الإحالات والمراجع:

01. أبو الحسن، منال (2006)، أساسيات تعامل المجتمع الإعلامي: النظريات والوظائف والتأثيرات، القاهرة، ط 1، دار النشر للجامعات.
- البشر، محمد بن سعود (2014)، نظريات التأثير الإعلامي، الرياض، دار العبيكان للنشر.
03. الجبوري، سحر خليفة (2012)، الإعلام البديل، الواقع والافاق، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 15، كلية الإعلام، الجامعة العراقية.
04. الزبيد، إسماعيل محمد (2010)، علم الاجتماع، ط 1، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
05. النشال، انشراح (1985)، مدخل لعلم الاجتماع الإعلامي، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.
06. الصادق، عباس مصطفى (2008)، الإعلام الجديد، المفاهيم الوسائل والتطبيقات، عمان، ط 1، دار الشروق.
07. العبد الله، مي (2006)، نظريات الاتصال، ط 1، بيروت، دار النهضة العربية.
08. النكلاوي، أحمد (2001)، مدخل إلى علم اجتماع اتصال، (ط 5)، القاهرة، دار الثقافة العربية.
09. أولجا جودي سبيلي وآخرون (2009)، تر: علا أحمد إصلاح، فهم الإعلام البديل، القاهرة، مجموعة النيل العربية.
10. بلخير، رضوان (2014)، مدخل إلى الإعلام الجديد، ط 1، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع.
11. حدادي، وليدة (2017)، تأثير الإعلام البديل على العمل الإعلامي، دراسة ميدانية على عينة من الإعلاميين بولاية سطيف، مجلة العلوم الاجتماعية للأبحاث التخصصية، المجلد 2، العدد 2.
12. سعد، حسين سعد (2017)، براديجمات البحوث الإعلامية (الاستمولوجيا، الإشكاليات، الأطروحات)، لبنان، دار المنهل اللبناني.
13. عبد الحميد، محمد (2009)، المدونات: الإعلام البديل، القاهرة، ط 1، عالم الكتب.
14. عبد الله ثاني، محمد النذير (2017)، استمولوجيا علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، ط 1، منشورات دار الأديب.
15. عويس، محمد جاد المولي حافظ (2012)، تأثير الإعلام البديل على تداول المعلومات في مصر، (دراسة تحليلية ميدانية)، جامعة بنها، كلية الآداب، رسالة دكتوراه غير منشورة.
16. لازار، جوديت (1994)، سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري، ترجمة د. علي وطفة، هيثم السطاحي، دمشق، ط 1، دار الينابيع للنشر.
17. ليفري، ليا (2016)، وسائل الإعلام الجديدة البديلة والنشطة، ترجمة وهبة ربيع، ط 1، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
18. ميغري، أريك (2018)، سوسيولوجيا الاتصال والميديا، ترجمة نصر الدين لعياضي، البحرين، ط 1، منشورات منتدى المعارف.
19. يفوت، سالم (2012)، استمولوجيا العلم الحديث، المغرب، ط 2، دار توبقال للنشر والاشهار والتوزيع.
20. Wilbur Schramm (1973), Men, Message and Media: A Look at Human Communication, New York, Harper ROW.